



د. رضوى فرغلي

معالجة نفسية

[radwa72@gmail.com](mailto:radwa72@gmail.com)

ارتجت الفتاة الصغيرة في حضني وبكت كما لم أر أحدا يبكي من قبل. ظلت ختبتة في صدري تحتضني بقوة كمن وجدت ملاذا أخيرا، واستمرت في البكاء إلى أن فقدت القدرة على الكلام واسترخت قليلا. لم يكن من الصعب أن أتوقع نوع المشكلة، لكنني كنت بحاجة إلى سماع التفاصيل.

"الطفلة" التي لم تتجاوز الحادية عشرة، قفزت بي فجأة فوق كل تخيلاتي لتفاصيل مشكلتها حين روت لي حكايتها الموحجة: كنت في السابعة من عمري حين تحرش بي جنسيا أخي (م) الذي يكبرني بثلاث سنوات، وكنت أظنها لعبة أو شيئا عاديا، خصوصا أن أخي كان يبتلع ألعابا تسمح له بلمس جسدي مثل لعبة الطبيب مثلا، أو الزوج والزوجة، أو غيرهما، ولأن أمي وأبي دائما مشغولين، فكان البيت خاليا معظم الوقت إلا من الخدم الذين يفرحون لأننا نلعب في غرفتنا دون شغب أو مضايقة لهم، أما أخي الأكبر خارج البيت ولا أحد يجاسبه، وأختي الكبرى كانت أغلب الوقت في غرفتها المغلقة عليها باستمرار، والتي عرفت فيما بعد أنها كانت تهرب من تحرش أخي بها أيضا ومحاولته الاعتداء عليها جنسيا أثناء سفر أبويننا خارج البلاد. بدأ أخي يضايقي ويضربني ويهددني إذا شكوت لأمي أو أبي بأنه سيفضح أمري ويقول لكل العائلة وأصحابي. ذات مرة وعندما ضربني بشدة قررت الشكوى لأمي، وبالفعل حكيت لها كل شيء لكنها نهرتني واتهمتني بالكذب وقالت لي: أخوك مؤدب ولا يصح أن تتهميه هكذا! وحذرتني من نشر الموضوع أو الشكوى لأحد غريب.

منذ عام تقريبا، تطور الأمر من مجرد تحرش جنسي وملامسة جسدي إلى جماع كامل فقدت معه عذريتي. ومنذ أربعة أشهر عرف أخي (ع) الذي يكبرني بخمسة أعوام، علاقتي الجنسية بأخي (م) فطلب أن يفعل معي مثله وإلا سيخبر الجميع. وهكذا استمر الوضع إلى أن اكتشفت أمي بالمصادفة فانهاالت علي ضربا وأخبرت أبي الذي قص لي شعري كنوع من العقاب، ولم يقدر على

معاقبة أخوي اللذين هربا من البيت وعاشا مع صديق لهما، فاضطرا لمصالحتهما والاكْتفاء بتعنيفهما، خصوصا بعد أن عرفا أنهما كانا منذ ثلاث سنوات يروجان للمخدرات بين أصدقائهما، فخافا عليهما من أن توقع بهما الشرطة فأعادهما إلى المنزل. لكنني الآن لا أطيق الحياة معهم جميعا، لأنني تحت أي خطأ مني أتعرض للضرب والمعايرة والإهانة من الجميع، وقد حاولت الانتحار أكثر من مرة لكنني فشلت !

### نقطة الصفر

إن هذا النوع من المشكلات يعود بالأسرة والمجتمع إلى نقطة الصفر، ويفجر قضية مهمة وشائكة، هي العلاقة المحرمة وكيف تتكون بين أفراد الأسرة، وهل هي فطرية أم مكتسبة؟ وما طبيعة التكوين النفسي للأخ الذي يتجرأ جنسيا على أخته؟ وما تأثير ذلك عليها؟ وما العوامل التي تسهم في هذا التردّي القيمي والتربوي داخل الأسرة؟ وهل مازال هناك مخرجا من هذا المأزق الأخلاقي؟

إن تربية الطفل ليست ترفا أو فعلا ترفيهيا يمارسه الأيون بعد أن يفرغا من أمورهما اليومية، كما أنها لا تنتهي عند تلبية الاحتياجات الأساسية له، إنما هي التزم ومسئولية كبيرة وجهدا شاقا، يتطلب وعيا عميقا ووقتا وعناية بتفاصيل الطفل وملاحظة دقيقة لسلوكياته. من خلال نسق التربية الفعالة يساعد الأيون طفلهما على تمثّل صورة إيجابية لهما، والتوحد مع نموذج الأب الذي يمثّل صورة السلطة ويرسي القانون الأخلاقي داخل أبنائه، خصوصا الذكور منهم.

### ثلاث قوى

إن أي إنسان تتنازع داخله ثلاثة قوى رئيسية هي: الجزء الخاص بالرغبات بما فيها الرغبات الجنسية، ويطلق عليه "الهو" Id، والجزء الذي يمثّل الضمير الأخلاقي والقيم والمبادئ، ويطلق عليه "الأنا الأعلى" Super Ego، والجزء الثالث الذي يحاول أن يخلق

كنت في السابعة من عمري حين تحرّش بك جنسياً أخيك (م) الذي يكونك بثلاث سنوات، وكنت أظنها لعبة أو شيئاً عادياً، خصوصاً أن أخيك كان يخترع ألعاباً تسمح له بلمس جسدي مثل لعبة الطبيب مثلاً، أو الزوج والزوجة، أو غيرهما

بدأ أخيك يضايقني ويضربني ويهددني إذا شكوت لأمي أو أبي بأنه سيفضح أمرك ويقول لكل العائلة وأصحابي

ذات مرة وعندما ضربني بشدة قررت الشكوك لأمي، وبالفعل حكيت لها كل شيء لكنها نهرتني واتهمتني بالكذب وقالت لي: أخوك مؤدب ولا يصح أن

تتهمة هكذا!

تطور الأمر من مجرد تحرش جنسي وملامسة لجسدك إلى جماع كامل فقدت معه عذريتك

عرف أخيك (ع) الذي يكبرنيك بخمسة أعوام، علاقتك الجنسية بأخيك (م) فطالب أن يفعل معك مثله وإلا سيخبر الجميع

اكتشفت أمي بالمصادفة فأنهالت علي ضرباً وأخبرت أبي الذي قص لي شعرك كنوع من العقاب، ولم يقدرنا على معاقبة أخوك اللذين هربا من البيت

العلاقة المحرمة وكيف تتكون بين أفراد الأسرة، وهل هي فطرية أم مكتسبة؟ وما طبيعة التكوين النفسي للأخ الذي يتجرأ جنسياً على أخته؟ وما تأثير ذلك عليها؟

التوازن بين الجانبين السابقين، ويطلق عليه "الأنا" Ego وهو يسعى إلى تحقيق الرغبات الإنسانية وفق قيم ومعايير المجتمع ومبادئه الأخلاقية.

كلما كانت تربية الطفل متوازنة وتتم على أسس تربوية سليمة، فإن الطفل ينشأ بتوازن نفسي واجتماعي يمكنه من التوفيق بين أجزاء الشخصية الثلاثة السابقة دون جهد كبير، أما إذا حدث تعثر في التربية، كأن ينشغل الأب عن أبنائه وتتخلى الأم عن مسؤوليتها ليرتكب الطفل للتربية العشوائية التي تتم وفق مبدأ الصدفة أو التجربة والخطأ، ما يخلق مجالاً رحباً لتحول الطفل إلى شخص "سيكوباتي" أو مضاد للمجتمع، بمعنى أنه لا يفكر إلا في تحقيق رغباته وغرائزه بما يحقق له اللذة دون الاعتبار لمعايير الأسرة أو المجتمع، لأنه يفقد للمرجعية أو "الأنا الأعلى" أو الضمير الأخلاقي الذي يحكم تصرفاته، ومع الوقت يعتاد السلوكيات المنحرفة مثل زنا المحارم، وتعاطي وترويج المخدرات، والسرقعة، والكذب، وغيرها، دون الشعور بالذنب أو تأنيب الضمير .

### تأثير مزدوج

ولا تتركز خطورة الشخص السيكوباتي على نفسه فقط، إنما على المحيطين به أيضاً، خصوصاً الأخوة، فهو لا يتورع عن التحرش الجنسي بأخوته والإيقاع بهم بطرق إغوائية ملتوية حتى يرضخوا لرغبته مستخدماً ذكائه ومستغلاً لانشغال الوالدين أو عدم اهتمامهما، ويكون الضحية هنا الأخ الأصغر أو الأخت، كما في حالة مروة. وتتجرع الضحية الألم كل يوم بسبب هتك براءتها، وتحمل الأسرة والمجتمع عبء ذلك عليها وحدها، فهي التي لم تعرف كيف تصون نفسها، وتظل تحمل وصمة عار أبوين تخليا عنها، وأخ استعملها كأداة للتنفيس عن رغباته الشاذة، بينما المجتمع نفسه ينظر إليها بعين الريبة.

إن الاعتداء الجنسي على الأخت يؤثر عليها سلبياً نفسياً واجتماعياً، فتنخفض ثقته في نفسها، وتقديرها لذاتها، وتضطرب لديها صورة الأبوين اللذين لم يوفر لها الحماية اللازمة،

وبالتالي تضعف ثققتها في كل أشكال السلطة فيما بعد. كما تنتشوه لديها صورة جسمها، وينتابها إحساس دائم بالذنب وتأنيب الضمير وجلد الذات لأنها تعتبر نفسها شريكة في الفعل الجنسي المحرمي، وقد تقترف أفعالا جنسية أخرى على اعتبار أنها فقدت كل شيء فلم يعد لديها ما يستحق الحفاظ عليه، وغالبا لا تستطيع أن تكون مستقبلا أسرة مستقرة لأنها تعتبر نفسها كائنا ناقصا لا يمكنه تحمل المسؤولية أو حماية غيرها.

## 6 أخطاء

يستغرب الكثيرون من انتشار حوادث سفاح القربى في وسائل الإعلام، خصوصا بين الأصدقاء، ويشمئزون منه ويدينونه بحكم أنه مناف للفطرة والطبيعة، دون أن يلتفتوا إلى أننا لا نولد ومعنا جينات "المحرمية" فهي ليست نتاج هرمون معين يفرزه الجسم فنتخذ موقفا محرما تجاه أختنا، إنما تنشأ العلاقة المحرمية بيننا وبين أخواننا وأخواتنا من التنشئة النفسية والاجتماعية السليمة، فهي مسألة تربوية مكتسبة وليست فطرية. إن محرمية الجسد، أو المحرمية الجنسية، هي نتاج لمحرمية نفسية يزرعها الآباء في نفوس أبنائهم من خلال تربية روحية ونفسية واجتماعية تنمي داخلهم حدودا فاصلة لا يمكن تجاوزها. ويرتكب آباء كثيرون أخطاء قد تبدو لهم بسيطة، لكن من المهم الالتفات لها ومحاولة تجاوزها إن كانوا يريدون الاتزان النفسي لأبنائهم، منها:

1. يغفل آباء كثيرون عن المعنى الحقيقي للتربية، فيعتقدون أنها فعل تلقائي يتحقق بتوفير المأكل والمشرب والملبس والتعليم الجيد فقط، وخادمة وسائق، دون الاهتمام بزوايا تربوية ونفسية واجتماعية أخرى لها تأثير عميق على شخصية الطفل وعلاقاته واحتياجاته.. فبعضهم يوفر لهم المنزل والسيارة والرفاهية والخدم ويتركونهم دون عناية وكأن الزمن وحده كفيل بتربيتهم وتنمية نواتهم ووعيهم الخاص، ولا يفكرون إلا على كارثة يحاول كل منهما أن يلقي مسئوليتها على الآخر تجنباً للشعور بالذنب أو درءاً لتحمل نتيجة الخطأ!

لا تتركز خطورة الشخص السيكوباتي على نفسه فقط، إنما على المحيطين به أيضا، خصوصا الأخوة، فهو لا يتورع عن التحرش الجنسي بأخوته والإيقاع بهم بطرق إغوائية ملتوية حتى يرضخوا لرغبتة مستخدما ذكاهه ومستغلا لانشغال الوالدين أو عدم اهتمامهما

تتجرع الضحية الألم كل يوم بسبب هتك براعتها، وتحميل الأسرة والمجتمع عبء ذلك عليها وحدها، فهي التي لم تعرف كيف تكون نفسها

الاعتداء الجنسي على الأخت يؤثر عليها سلبا نفسيا واجتماعيا، فتتخضع ثققتها في نفسها، وتقديرها لذاتها، وتضطرب لديها صورة الأبوين اللذين لم يوفر لها الحماية اللازمة، وبالتالي تضعف ثققتها في كل أشكال السلطة فيما بعد. كما تنتشوه لديها صورة جسمها

ينتابها إحساس دائم  
بالذنب وتأنيب الضمير  
وجلد الذات لأنها تعتبر  
نفسها شريكة في الفعل  
الجنسي المحرم، وقد  
تقترف أفعالاً جنسية  
أخرى على اعتبار أنها  
فقدت كل شجيرة فلم  
يعد لديها ما يستحق  
الحفاظ عليه

أننا لا نولد ومغنا جينات  
"المحرمية" فهي ليست  
نتاج هرمون معين يفرزه  
الجسم فننخذ موقفاً  
محرمياً تجاه أخوتنا، إنما  
تنشأ العلاقة المحرمية بيننا  
وبين أخواننا وأخواتنا من  
التنشئة النفسية  
والاجتماعية السليمة، فهي  
مسألة تربوية مكتسبة  
وليست فطرية.

يقول عالم النفس  
سكينر: إن التربية هي ما  
يبقى لنا بعد أن ننسى  
ما تعلمناه

العيب الأكبر على  
الأسرة هو بناء نسق قيمية

2. لا يهتم الآباء بإنشاء علاقة وثيقة نفسياً بين أبنائهم وإشعارهم بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض بحكم السن أو الخبرة أو النوع، كأن يكون الكبير مهتماً بأخوته الأصغر منه، أو أن يراعي الأخ أخته في تناغم نفسي وأخلاقي يحفزهم إيجابياً ويقربهم من بعضهم البعض دون تشوه في العلاقة .

3. لا يقوم الآباء بتثقيف أبنائهم جنسياً بشكل يمثل لهم جدار حماية لا من الغرباء فحسب، وإنما من بعضهما البعض أيضاً، فلا يتعلم الطفل الحدود الفاصلة بين جسده وجسد الآخر، وما هي الأجزاء المباح كشفها والتعامل معها، والأخرى التي يجب أن يكون حذر جداً في تعامل الآخرين معها.

4. لا يلتفت بعض الآباء إلى تفاصيل أبنائهم وطريقة لعبهم مع بعضهم البعض، أو فترة انزاعهم أو انطوائهم بعيداً عن محيط الأسرة، أو مظاهر القلق والتوتر التي قد تظهر عليهم من حين لآخر، أو معاناتهم أحلاماً مزعجة، صمتهم المبهم، فالالتفات لتفاصيل الطفل هي ما تعكس لنا أعماقه النفسية وآلامه وأفراحه.

5. كيعفي بعض الآباء أنفسهم من المسؤولية ويتركونها على كاهل الخدم، الذين هم بطبيعة الحال يمثلون مصدر خطر أحياناً، كما أنهم غير واعين بأساليب التربية السليمة، ويحرصون فقط على نظافة المنزل وهدوئه وعزل الأطفال تماماً بحيث لا يكونون مصدر إزعاج للأهل، والنتيجة أن يصبح الطفل فريسة للفراغ أو أصدقاء السوء دون رعاية حقيقية أو متابعة من الأبوين.

6. لا يهتم الآباء بأسئلة أبنائهم أو شكواهم أو ضيقهم وتذمرهم من أشياء معينة ولا يكلفون أنفسهم جهداً أو وقتاً للبحث وراء مصادر إزعاجهم وقلقهم، أو الجلوس معهم ولو ساعة يومياً للتقرب منهم ومعرفة أخبارهم ومستواهم الدراسي وغيرها من الأمور التي تبدو بسيطة لكنها مهمة وحيوية.

## مفترق طرق

يقول عالم النفس سكينز: إن التربية هي ما يبقى لنا بعد أن ننسى ما تعلمناه. وتأتي التربية كمهمة صعبة خصوصا وسط هذا الانحدار الذي شمل العديد من مناحي الحياة، فيصبح العبء الأكبر على الأسرة هو بناء نسق قيمي أو ضمير Super Ego يحمي الأبناء من الانزلاق في هاوية الانحراف، خصوصا أن هذا النوع من المشكلات يجعلنا على مفترق طرق، إما أن نراجع أنفسنا ونتحمل بنبل ومسئولية نتيجة قرار إيجاب أطفال، أو نقبل نتيجة مخزية ومدمرة لا لكيان الأسرة فحسب، إنما للمجتمع ككل الأمان داخل بيته وبين أفراد أسرته؟! وما ننتظر منه حين يخرج للمجتمع مشوها، مفتقدا لأبسط أشكال الدعم والمساندة والتربية؟! ماذا يمنحنا طفل فقد هويته الإنسانية وضاع كبريائه وهدرت كرامته من قبل أفراد هم المطالبون بحمايته؟!

أو ضمير Super Ego يحمي الأبناء من الانزلاق في هاوية الانحراف

إما أن نراجع أنفسنا ونتحمل بنبل ومسئولية نتيجة قرار إيجاب أطفال، أو نقبل نتيجة مخزية ومدمرة لا لكيان الأسرة فحسب، إنما للمجتمع ككل

ماذا يمنحنا طفل فقد هويته الإنسانية وضاع كبريائه وهدرت كرامته من قبل أفراد هم المطالبون بحمايته؟

"مراسلات الشبكة" على الفيس بوك

<http://www.facebook.com/Arabpsynet>

\*\*\* \*\*

2012/06/13 - 2003/06/13

"الشبكة تدخل عامها العاشر...حصاد تسع سنوات"

[www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf)

د. جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

[turky.jamel@gnet.tn](mailto:turky.jamel@gnet.tn)

\*\*\* \*\*

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (2013) تسعى الشبكة لتكريم مجموعة من العلماء بلقب:

"الراسخون في العلم والنفسية"

[www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf)

د. جمال التركي

رئيس شبكة العلوم النفسية العربية

[arabpsynet@gmail.com](mailto:arabpsynet@gmail.com)